مفهوم الضربة الاولى، والثانية

سبقت الاشارة الى انه قد ترسّخت تعريفات للضربات من خلال الحوار الذي دار بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية بصفة خاصة، وبين الكتلتين، الشرقية والغربية، بشكل عام، في فترة الحرب الباردة، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في العام ١٩٤٥؛ وان هذه التعريفات ترسّخت مع الزمن في هذا الصراع. وعلى الرغم ممّا سبق، فمن الواضح ان هذه التعريفات قد لا تنطبق بالدرجة ذاتها على الصراعات الاقليمية نتيجة لاختلاف ظروفها، وانْ كان من الممكن الاحتفاظ بجوهر التعريفات دون تفاصيلها، خاصة وان هذه التعريفات ما زالت تحتمل بعض الاختلاف، أو المرونة.

المفهوم البسيط المجرّد لتوجيه ضربة مسبقة هو انها ضربة يفاجىء بها احد الاطراف الطرف الآخر، بحيث تكون الضربة قادرة على اصابة أهداف العدو قبل ان يقوم هو بتوجيه الضربة. والمقصود بهذا الشكل ان تكون الضربة على غير توقّع الطرف الآخر في هذا الوقت، وليس لها مقدّمات قوية؛ وان تكون للضربة آثار مدمّرة تؤدي الى اضعاف الطرف الآخر، وربما استسلامه. الّا انها انْ لم تؤد الى ذلك، فهي، على الاقل، تضعفه الى درجة تسهّل هزيمته. لكن يظل المهم، في المفهوم البسيط المجرّد للضربة الاولى، انها ضربة مسبقة تسبق الطرف الآخر في توجيهها.

ليس المفهوم الدارج في أدبيات الصراع هو المفهوم البسيط المجرد عينه لتعبير الضربة الاولى؛ اذ ينصرف هذا المفهوم، هذه المرة، بالاساس، الى الجزء الخاص بأنها تؤدي الى استسلام العدو. فهذا المفهوم يعني توجيه ضربة مسبقة الى أسلحة العدو النووية تؤدي الى اجهاض قدرة العدو وتحرمه القدرة على توجيه ضربة مضادة انتقامية. ولذا، عادة ما تسمّى بالضربة الاولى المانعة. لكن كثيراً ما تغفل كلمة المانعة، بحيث اذا ما ذكرت عبارة الضربة الاولى، فانها تعني انها مانعة. أمّا في غير ذلك، فان الامر يتطلب ايضاح المقصود بأنها الضربة الاولى التي تسبق الضربة الثانية؛ اذ ان المعنى الدارج للضربة الاولى يعني ان ليست هناك فرصة لتوجيه ضربة ثانية.

تتطلب الضربة الاولى، بمفهومها الدارج في أدبيات الصراع العالمي، شروطاً عدّة يمكن تحقيق كل شرط منها بوسائل عدّة متوازية، أو تبادلية؛ أي ان تكمل بعضها، او تحل محلها، وفقاً للظروف. وأهمّ هذه الشروط هي المفاجأة، والدقة، والوقاية. ومن الواضح ان تحقيق هذه الشروط لا يتوقف فقط على الجانب القائم بتوجيه الضربة الاولى، وانما على الجانب الآخر الذي تستهدفه الضربة أيضاً. فتحقيق المفاجأة مرتبط بيقظة واجراءات الجانب الآخر لتفادي المفاجأة. والدقة مرتبطة بالعمل على حرمان الطرف القائم بتوجيه الضربة من الحصول على معلومات دقيقة الى آخر لحظة؛ والوقاية مرتبطة بقدرة الطرف المضاد على اختراقها.

تعتبر «المفاجأة» أهم شروط توجيه الضربة الاولى، سواء بمفهومها البسيط المجرد أو بمفهومها الدارج في الادبيات المتداولة؛ اذ ان الطرف الآخر يمكنه توجيه ضربته مسبقاً، لو انه عرف بنيّة وتوقيت الضربة التي يقوم خصمه بتوجيهها. وهكذا، فان توجيه الضربة الاولى يرتبط باخفاء نيّة توجيه الضربة وتوقيتها؛ اذ انه قد يكون مفهوماً ان الخصم يعدّ لتوجيه ضربة أولى، ولكن التوقيت قد يكون مؤجّلاً حتى تتوفّر له ظروف مناسبة. ولا يتوقف تحقيق المفاجأة على مجرد توجيه الضربة بمعنى اطلاق الاسلحة؛ اذ ان الزمن اللازم لوصول القذائف الى أهدافها قد يسمح للطرف الآخر باطلاق قذائفه قبل وصول قذائف الخصم الى اهدافها. ويتوقف ذلك، بالدرجة الاولى، على الزمن اللازم لوصول المقذوفات الى أهدافها، وعلى قدرة الخصم على اكتشاف المقذوفات عند، أو بعد، اطلاقها،